الصهيونية في فكر روجيه غارودي

الدكتور حامد الجنابي الباحثة: شهلاء عذاب عبيد الشجيري

المستخلص

روجيه غارودي من الشخصيات الفرنسية المهمة التي كان لها أثر مهم في القضايا التاريخية المعاصرة لاسيما القضية الفلسطينية، فتناول في مؤلفاته جذور الصهيونية و توظيفها لليهودية كدين لإضافة شرعية لمخططاتهم المدعومة من الغرب في الاستيلاء على أرض فلسطين .

الكلمات المفتاحية: روجيه غارودي، الصهيونية، فلسطين.

Zionism in the thought of Roger Garaudy

Dr. Hamed Al-Janabi student Shahla Athab Obaid Al-Shugairi

Extract:

Roger Garaudy is one of the important French personalities who played an important role in contemporary historical issues, especially the Palestinian issue. He mentioned in his books about the roots of Zionism and its use of Judaism as a religion to add legitimacy to their Western-backed plans to seize the land of Palestine.

Keywords: Roger Garaudy, Zionism, Palestine.

المقدمة:

يعد روجيه غارودي من الشخصيات الفرنسية المهمة ، الذي يتمتع بتأثير كبير في الفكر الفرنسي وذلك من خلال كتاباته و مقالاته التي لازالت خالدة في اذهان الكثيرين .

جاء اختيارنا لهذا هذا العنوان من اجل هو كشف الفروقات بين الصهيونية كحركة و اليهودية كديانة والتوظيف السياسي والديني لليهودية في خدمة الصهيونية .

يتألف البحث من اربعة محاور رئيسية ، تضمن الأول :الصهيونية، اما المحور الثاني فقد أشار الى الصهيونية ضد اليهودية، وتحدث المحور الثالث عن توظيف الصهيونية للدين، وتناول المحور الرابع طبيعة الحركة الصهيونية واهدافها.

اعتمد البحث على مصادر مهمة منها مؤلفات روجيه غارودي نفسه ، ومنها كتابه المعنون (المأزق اسرائيل)، روجيه غارودي (الأساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية).

اولا: الصهيونية :

في القرن التاسع عشر ،أُعلنت ولادة الحركة الصهيونية في أوربا ، بهدف معلن هو إنشاء مركز روحي على جبل صهيون ، كمصدر اشعاع للدين والثقافة اليهودية ، بعيدًا عن أي محاولة سياسية لتأسيس دولة يهودية ، او أي سيطرة على فلسطين ، أو أي مواجهة بين المجتمع اليهودي والسكان العرب، تطلع دعاة الصهيونية الدينية إلى عودة المسيح ليؤسس ملكًا ، من أجل البشرية جمعاء ، حيث (ستُبارك في نسلك جميع الأمم على الأرض ، سفر التكوين ١٨-٢٢)[i]، ثم أصبح هذا المعتقد الديني هدفاً سياسياً تجسد في الأفكار التي طرحها تيودور هيرتزل(Theodor Herzl) [ii] (١٨٦٠-١٩٠٤) وولدت الصهيونية السياسية ، التي ألغت الصهيونية الدينية في فيينا عام ١٨٨٢ واستبدلت بها تطبيق عملي في مؤتمر بازل الصهيوني العالمي الذي عقد عام ١٨٩٧ ليصوغ الهدف الاساس للصهيونية وهو العمل على خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام[iii].

منذ ذلك التاريخ عمل الصهاينة بجد ليس لبناء وطن روحي يكون مصدراً للثقافة و العقيدة وإنما إنشاء دولة يهودية يجتمع فيها يهود العالم [iv]، لترتبط الصهيونية بالحركة التي أسسها هيرتزل [v].

عرف روجيه غارودي الصهيونية " بأنها حركة قومية لم تولد من اليهودية ، ولكنها وُلِدت من القومية الأوروبية في القرن التاسع عشر ، و لم يكن هيرتزل مؤسس الصهيونية متدينا او منتسبا الى الدين ، فقد عبر بذلك بنفسه ي كتاب يومياته قائلا " أنني لا انقاد لأي دافع ديني "[vi].

ذكر هيرتزل في مذكراته بأن الأرض المقدسة تهمَه جداً، و هو يقبل من اجل اهدافه القومية بأوغندا أو الموزمبيق، كولومبيا ، قبرص ، الارجنتين أو أي أرض لكنه كان أمام معارضة من أصدقائهُ اليهود ، فإنه كان يدرك اهمية الاسطورة القومية(العنصرية اليهودية) فهي تؤلف صيحة ذات قوة لا تقهر للم الشعب اليهودي[vii].

وقد ذكر هيرتزل برنامجه بكل وضوح إذ ذكر عن المسألة اليهودية :" أنها عقيدة سياسية و قومية واستعمارية" ، هذه هي الخصائص الثلاث التي انتصرت في مؤتمر بازل عام ١٨٩٧ وانتصر فيها هيرتزل حيث قال في نهاية المؤتمر : لقد اسست الدولة اليهودية[viii] .

ثانيا : الصهيونية ضد اليهودية:

عندما أسس هيرتزل الحركة الصهيونية اصطدم بالغالبية العظمى من اليهود و حاخاميهم و الدليل على ذلك أن القسم الأكبر من مذكرات هيرتزل تمحورت حول الرد على الحاخامين (اي الحكام) البارزين خصوصا الفترة الواقعة بين عامي (١٨٩٦– ١٨٩٨) امثال الدكتور غودمان (Dr Gudem) حاخام فيينا الاكبر ، و الدكتور مايربوم Dr Mayerbaum) (رئيس رابطة الحاخامين الالمان ، و الدكتور فوجلشتاين (Dr Vogelestein) مؤسس رابطة الحاخامين اليبراليين و رئيسها ، بالأضافة الى حاخامات عدد من المدن الذين اظهروا رفضهم للصهيونية ، إذ ظهرت في صفوف المنظمات اليهودية الاوربية على مشروع هيرتزل ردود فعل غاضبة على الفهم الخاطئ ل (مبادئ الدين اليهودي) مبينين ان الصهيونية هي نقيض الديانة اليهودية [ix] .

أوضح روجيه غارودي أن الصهيونية السياسية لا تتطابق مع اليهودية تماما ، فقال: " اليهودية ديانة احترمها اما الصهيونية فهي سياسة احاربها" فالصهيونية التي ولدت إسرائيل و أنصارها جعلت أي نقد موجه اليها مسوغاً لإغتصاب فلسطين ، وأوضح بمعنى أدق بأنه مسعى واضح لجعل تهمة معاداة السامية متجهاً على رقاب كل من يعارض إسرائيل) والحركة الصهيونية، اي اغلاق باب النقاش حول سياسة (إسرائيل) لذلك عمدوا الى استخدام شتى الاساليب غير الأنسانية بحق الكثير من الشخصيات التي أنتقدت سياستهم و افكارهم وقامت بحملات شرسة ضدهم [x].

عاصر غارودي أغلب قضايا عصره ، و أهمها قضية فلسطين ، وواجهه الصهيونية بشراسة وفي هذا الصدد قال: " اني لم أنتبه الا متاخرا للتعارض الراديكالي بين الصهيونية و اليهودية والتناقض الاساسي داخل الصهيونية" [xi] .

وبعد اطلاع غارودي و دراسته بعمق للخفايا الصهيونية رأى مدى التعارض والتناقض بين اليهودية كديانة و الصهيونية كحركة فقال " الصهيونية تتعارض كليا مع اليهودية ، فالصهيونية تريد تعريف الشعب اليهودي ككيان قومي ان ذلك يعد هرطقة [xii].

إن اليهودية كديانة و الصهيونية كحركة شغلت اذهان العديد من المفكرين و الباحثين غير غارودي منهم حنه ارنت (Hannah Arnett)[xiii]و جان بول سارتر (Jean Paul Sartre) [xiv] و جاك دريدا (Jack Darrida)[xv] و غيرهم .

يتضح مما سبق ان الصهيونية تستغل اليهودية من اجل تحقيق اهدافها السياسية وان ليس لها اي علاقة بالديانة اليهودية وانما استخدمتها كغلاف لتحقيق ما تطمح اليه و هو اخضاع فلسطين تحت حكمها وهذا ما سعى لتأكيده روجيه غارودي .

ثالثا: توظيف الصهيونية للدين:

أن أزمة "الهوية" حديثة العهد ، اذ رافق قيام الكيان الإسرائيلي رافق تناقضاً حاداً بين الدين والقومية ، بين الدين والدولة ، لم يكن من السهل احتواءه، تم العثور على هذا متجذرًا في تعريف "اليهودية" نفسها ، والتي ليست مرادفة لكلمة الديانة اليهودية ، على الرغم من أن الأخيرة جزء منها [xvi].

في ضوء الصلة بين اليهودية كدين واليهودية لأسم لمجموعة بشرية بحيث تمثل اليهودية بالنسبة لهم الوحدة التي توصف بالدين القومي الذي يعبر عن ثقافة مستقلة ذات طابع مميز يختلف عن المجتمع المحيط بها هنا و يمكن اعتبار عناصر مفهوم اليهودية "هويات" يهودية متعددة ومعقدة ، وليست هوية واحدة وإلى موقف تعريف اليهودية بين الواقعية والمثالية ، إذ أن استخدامها هو تعبير عن نموذج أكثر تخليقًا ومصطنعًا لواقع أعضاء الجماعات اليهودية ، وللتغيرات التاريخية والثقافية والدينية التي دخلت هذه الهوية وحولت في هويات مختلفة[xvii].

اوضح غارودي بأن تسميات ومصطلحات متعددة ومتداخلة في مفهوم اليهودية ، فاليهودية كمصطلح يطلق على الجماعات البشرية وليس الإثنية ،كما حاولت الصهيونية تصويرها مرتبطة بأهميتها أكثر من عناصرها، و قد ظهر هذا المفهوم في مرحلة معينة من مراحل تطور مجموعة بشرية معينة كان يشار اليها بأسماء وتعابير أخرى ، مثل (الإسرائيليين) (فيما يتعلق بالاسم البديل ليعقوب بن إبراهيم) ، والعبرانيين (فيما يتعلق بالعبور) ، على حين يُعتقد أن أصل الاسم مشتق من مملكة يهوذا ، المملكة الجنوبية التي كانت عاصمتها القدس بعد تقسيم مملكة سليمان أبن داود ، أو مشتقة من "يهوذا" هي إحدى قبائل يعقوب الاثني عشر ، أو من إله اليهود "يهوه" ، أو من الذين هادوا من هم يهوديون أي تابوا وعادوا، هذا التعدد يؤكد مدى الالتباس والارتباك المحيط بالمفهوم[xviii].

إن التسميات القديمة لم تختفي ، بل تطورت مثل العبرية التي ارتبطت باللغة ، و "إسرائيل" التي أصبحت الدولة الصهيونية كان المفهوم أيضًا مرتبطًا أحيانًا بالأصل العرقي ، كما لو أن تسمية للجنس البشري نفسه ، مرتبطة بمجموعة بشرية يعدها البعض وطنية ، بينما كان يُنظر إلى اليهودية على أنها ثقافة ، أو نظام أفكار للجماعات البشرية منتشر في مجتمعات شاسعة ، تشير إلى ارتباط مفهوم اليهودية بعلامات فرعية مرتبطة بتطور مجموعة فكريًا وحركيًا ، بحيث لا يمكن القول إن لها معنى محددًا لمسألة واحدة محددة ، بل بالأحرى هو مفهوم مركب ومعقد وإذا كان هناك جدل عن دور الهوية في تعزيز الصراع ، بسبب العلاقة الثنائية المعقدة ، بين تأجيج الحروب والصراعات والحاجة إلى محفزات موضوعية لجعل تأثيرها حقيقة [xix] .

بعد مراحل من البحث والمناقشة حول دور الدين في تأجيج التناقضات نجد مكانة تقترب من نقطة الخطر، أي عندما تنشغل "جماعة" بأكملها بقضية الهوية ، فأن الأمر يشير إلى فشل أفرادها في التواصل مع بعضها ، في ما يقدم بُعدًا للصراع العربي – الإسرائيلي من خلال التكيف الديني معه ، وقضية ومسار ومصير مع الحركات الإسلامية ، مقابل توظيفه الصهيوني لتحقيق أهداف الاستيطان، والاستعمار في فلسطين ، واستخدامه لأداة شرعية تاريخية ودينية مزعومة عندما قدم الاحتلال نفسه على أنه "دولة يهودية" ، في تناقض بنيوي مع حق العودة و يمس بالمشروع الوطني الفلسطيني في كلتا الحالتين ، فهي ليست من صميم الكيان الصهيوني وتضر بالقضية الفلسطينية ، من حيث إضعاف مشكلة "الهوية" و "التعريف" لقدرة التعبئة (الإسرائيلية) وضرب مصدر شرعيتها في صميمها[xx] .

ظهرت مشكلة الهوية منذ تأسيس حركة التنوير اليهودي والتي تسمى بالعبري "هسكلاه" [xxi] بين يهود أوروبا في منتصف القرن الثامن عشر، (واستمرت قوتها حتى عام ١٨٨٠) ، والتي دعت إلى اندماج اليهود في مجتمعاتهم الخلفية ، وتحررهم من هيمنة الحاخامات ، وفصل الدين عن ما يسمى القومية اليهودية [xxii].

كان إصلاح اليهودية نتاجًا مباشرًا وإضافيًا لها ، بأنتصار رفض فكرة "الشعب المختار"[xxiii] و لكنها لم تكن قادرة على تحقيق النجاح الكامل بسبب رفض اليهود الاندماج والقوانين التي فرضتها الدول نفسها ، والتي سمحت بظهور حركات معاكسة ، مثل اليهودية المحافظة واليهودية الأرثوذكسية العقيدة التي تهيمن على الحياة في (إسرائيل)، ولاحقًا عندما انحسر ، الاتجاه الصهيوني ، الذي زاد من عواقب الاندماج إلى حد الفناء لصالح الانفصال والهجرة "الانتقائية" إلى "أرض الموعد" في آسيا ، مثل لم يكن اعتقاد اليهود الغربيين فيه كاملاً، الحل الصهيوني اللاعقلاني مناسب فقط ليهود الشرق أما بالنسبة لهم فإن الحل المستنير العقلاني للبقاء حيث هم هو الأفضل[xxiv].

قدمت الصهيونية نفسها حلاً شاملاً "للمسألة اليهودية" أينما وجدت ، لكنها قوبلت بمعارضة شديدة عند اليهود وواجهتها الصهيونية باستغلال اليهودية بأرتداء شخصية دينية تظهرها كامتداد لهذه اليهودية وليس نقيضها ، ومزجها بين المفاهيم القومية والدينية ، مقابل رفض المحتوى الديني وإنها تعارض أهدافها السياسية ، وبالتأكيد على أن الدين عنصر من عناصر التعبير عن الشعب اليهودي ومظاهر شخصيته وأحد تعابير القومية اليهودية ، وهو نظير له غير فردي محددًا للإيمان في مواجهة تاريخ مشترك وروابط اجتماعية [xxv] .

في حين أن مقولة" أرض الميعاد " شكلت أحد أهم الركائز المستمدة من الدين اليهودي بعد تطوره ،و كان البعد العقائدي حاضرًا في الموقف المحافظ على "الأرض" عندما وقع الاختيار على فلسطين بالرغم من أن فكرة "العودة" ليست جديدة ، إذ آمن بها جميع اليهود تقريبًا بحجة إعادة بناء "الهيكل" وإقامة مملكة سليمان تحت قيادة المسيح المنتظر، إلا أن الصهيونية انقلبت عليها بالدعوة إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين بالوسائل السياسية والعمل الذاتي اليهودي للإسراع بمجيء "المخلص" بغير انتظار يرتبط بهذا المفهوم الصهيوني عن "الشعب" ، والذي أعطى له أيضًا بُعدًا دينيًا[xxvi] .

على الرغم من الإشكالية القائمة حتى يومنا هذا حول تعريف "من هو اليهودي" ، في مواجهة مطالبة أرثوذكسية بالتبني وان تعريف اليهودي هو المولود من أم يهودية أو يهودية على يد أحد حاخاماتها مقابل إصرار أحد حاخاماتها أصرت اليهودية الإصلاحية على الاعتراف بيهودية اليهودي على أيدي حاخاماتها ، في ضوء تعريف عنصري مميز لـ "العرق اليهودي" لم يعد مقبولاً اليوم، حاولت الصهيونية تجميع المكون الديني اليهودي ، بما في ذلك العلاقة مع فلسطين و "الأرض المقدسة" و "الشعب اليهودي" ، والعرق العلماني ، الذي يدعم المطالبة الصهيونية بفلسطين ، ويسمح بممارسة المعتقدات اليهودية التقليدية و الطقوس وترجمتها إلى اتفاقيات القومية العلمانية[xxvii].

وهكذا لم تكن هذه الرؤية بحاجة إلى العلاقة التقليدية مع "الأرض المقدسة" ، ولا تستند بشكل مباشر إلى "الوعد الإلهي" ، ولم تربط الخلاص بمجيء المسيح ، وجعلت التعبير الديني مجرد تجسيد واحد للوجود القومي اليهودي وركزت على المراحل والأحداث المرتبطة بالتاريخ اليهودي والتي تشغل حيزًا في الأدب الديني اليهودي ،يمكن أن يطالب "الشعب اليهودي" بفلسطين بناءً على العهد القديم و هكذا تمكنت الحركة الصهيونية ، على الرغم من التنوع الفكري الواسع داخلها ، من الوصول إلى لغة مشتركة بين العلماني والديني ومع ذلك فإن الصهيونية ، التي عدت نفسها مكانًا لتحل محل اليهودية ، حاولت استخدام الدين اليهودي كمساهم في بلورة الروح القومية للشعب اليهودي ، وكأداة لتعزيز المشاعر الجماعية من العودة إلى التراث اليهودي القديم والمطلق الديني ، عن طريق مزج المفاهيم القومية بالمفاهيم الدينية ، دون إزالة التعريف الديني من الرموز الوطنية ، بل استخلاص رموزهم وأفكارهم الوطنية من التراث الديني ثم إفراغهم من محتواهم الروحي والأخلاقي ونقلهم من مجالهم الديني حيث يجدون شرعيتهم الوحيدة ، إلى الميدان السياسي للحصول على صيغ شبه دينية للمشروع الصهيوني[xxviii] .

إن عملية الخلط بين المجالين الديني والسياسي تكاد تكون حتمية بالنسبة للصهيونية ، من أجل جذب اليهود إليها ، وخاصة أولئك الذين يعيشون في أوروبا الشرقية ويؤمنون بالدين لقد نسجت الصهيونية تعريفاً خاصاً لـ "الأمة اليهودية" بين "ربطه بالبرنامج الصهيوني" و "التدخل الإلهي المباشر" [xxix] و "مجموعة تاريخية من الناس متماسكة ومرتبطة بعدو مشترك تمثله معاداة السامية" [xxx] ، والتي تخلو من عناصر القومية المعروفة بـ "الأمة" ، على حين تجد الدين المشترك ، كأحد العناصر التي تشكل القومية (التي تفترض أن أي قومية في العالم تستوعب تعدد الأديان بين أتباعها) اختلاف في اليهودية ، لا يوجد يهودي مسيحي أو مسلم يهودي حيث يوجد مسيحيون عرب أو مسلمون ألمان مع أن اللغة غير مشتركة ، إذ تتحدث عناصر الجماعات اليهودية بلغة المجتمعات التي يعيشون فيها بالإضافة إلى اللغة العبرية في "إسرائيل" ، في حين أن مراحل التاريخ المشترك في مفهوم اليهودية قصيرة بالنسبة إلى تاريخ اليهودية بشكل عام ، بينما تقتصر الرغبة في التعايش على مجموعات قليلة نسبيًا، "أقل من ثلث يهود العالم استجابوا للدعوة" [xxxi].

بهذا الحال أن مفهوم القومية غير قابل للتطبيق على اليهودية ،لأنها ديانة وليست جنسية يعتقد أن مفهوم "الأمة اليهودية" قد اكتسب بعدًا دينيًا ، نابعًا من رؤية العهد القديم لله على أنه إله (إسرائيل) وليس إله العالمين ، لذلك اكتسب المقدس هنا

طابعًا قوميًا والبعد النسبي المطلق، لكن الصهيونية جردت قدسية الشعب اليهودي بالمعنى الديني ، على الشعب اليهودي بالمعنى العرقي والإثني ولأن الشعب قد تفكك من قبل الله ، حسب رأيهم ، فإن كل شيء يهودي وقومي محاط بهالة من القداسة ، ومن ثَمَ فإن انتصارات الجيش أصبحت قضية لاهوتية فيها يتدخل الله "[xxxii].

على الرغم من أن مفهوم "الأمة" يشكل أهم المنطلقات الصهيونية ، وليس الوحيد ، فإن السمة الرئيسة لبنية الفكر الصهيوني لا تكمن في تبني فكرة أو أخرى على أنها مطلقة ، بل ميلها نحو الاختلاط أو الخلط بين المقدس والنسبية والحرمان من القداسة القومية اليهودية ، وربما الإيمان بربط القومية بالمقدس والمطلق (الدين) بالنسبة إلى (المكان) هو الموضوع الأساسي في الفكر الصهيوني ومن سمات بنيته يتضح هذا الأمر بوضوح في موقف الصهيونية من التاريخ ، والذي بحسبها يمضي في تطوير خط مستقيم نحو الهدف والنهاية الأسمى ، وليس بشكل دائري هندسي يتحرك حول نفسها بلا نهاية، حسب المفهوم اليهودي القديم[xxxiii].

إن تاريخ اليهود يعبر عن الإرادة الإلهية ، ويتسم بالاستمرارية التي تتجسد في "إسرائيل" هذا الأخير بالمعنى الديني هو نفسه "الشعب" ، في (إسرائيل) بالمعنى الإثني وهو نفس "إسرائيل" الدولة بالمعنى السياسي كلها مظاهر من الجوهر نفسه الذي لا يتغير تمامًا كما أشار مصطلح "يشوف" أو "مستوطن جديد" إلى مجتمع المستوطنين الصهيونيين قبل عام ١٩٤٨ ، ويعبر عن نفس المفهوم ، لأن الاستيطان الاستعماري الجديد ما هو إلا استمرار الاستيطان لأغراض دينية ، والذي أسماه "يشوف القديم" ربما يشير استخدام كلمة "التاريخ" هنا إلى العهد القديم أو التراث الحي الخفي[xxxiv].

نتج عن مقاربة موقف اليهودية تجاه السياسة بشكل عام ، ومن الصهيونية بشكل خاص ، مشاكل متداخلة لا تزال عالقة في الكيان الإسرائيلي كقضية خلافية محل جدل وجذب ومساومة أيضًا بين المتدينين أنفسهم وبينهم و بين العلمانيون و "هوية" الدولة بين الدولة العلمانية والدولة الدينية ، التي تسعى الحركات الدينية السياسية إلى تأسيسها وفقًا "للهلاخاه" (القانون اليهودي) ، وتعريف من هو اليهودي باعتباره امتدادًا للعلاقة الإشكالية بين الدين والدولة [xxxv].

يبدو لنا أنه لم تكن يهودية الدولة سوى القشرة السطحية التي غطتها الصهيونية للتغطية على خطأ فقدانها الحقوق القانونية والتاريخية والدينية في فلسطين المحتلة ، باستيراد ما تمكنت من توظيفه من نصوص مختارة في التوراة و التلمود و التعاليم اليهودية على الرغم من علمانيتها ، من أجل تنفيذ مشروعها الاستعماري وتبرير وجودها الاستيطاني ، دون إنهاء مشاكل "الهوية" و "تعريف اليهودي" و مأزق "اليهودية" ، الذي ينخر في صميم ما تغطيه ، ويتجاوز قضية رؤية العالم و الذات والتضامن داخل إسرائيل ، ومن ثَمَ الأساس الديني للدولة نفسها إن وضع الكيان الإسرائيلي كشرط للاعتراف بـ "يهوديته" في أي اتفاق تسوية يتم التوصل إليه لاحقًا مع الجانب الفلسطيني يتجاوز عرقلة التقدم في العملية السياسية ، نحو أهداف منحه الشرعية الدينية والتاريخية والقانونية المزعومة وإسقاط " حق العودة "وتهديد فلسطيني بالتشرد ولإضفاء المصداقية على الرواية الصهيونية في الأرض والتاريخ معًا بما يتماشى مع جوهر القضية الفلسطينية وقضايا الصراع العربي الإسرائيلي .

رابعا: طبيعة الحركة الصهيونية واهدافها :

هناك العديد من الآراء المختلفة حول طبيعة الحركة الصهيونية ، البعض يراها حركة سياسية ، أي إن مشاكلها سياسية ، " حركة سياسية وطنية تنبثق أساسًا من الواقع السياسي اليهودي" [xxxvi]، أي أن جذورها حقائق يهودية من جبهتين سياسيتين ، كما حاولت استغلال الظروف اليهودية في أوروبا في القرن التاسع عشر من أجل تحقيق القومية اليهودية وإقامة دولة يهودية و"الصهيونية كحركة سياسية نشأت بين الأحزاب الغربية غير اليهودية" [xxxvii] وهناك مجموعة أخرى تعتقد أن الصهيونية حركة دينية وسياسية ، لذلك سعت لتحقيق اهدافها عن طريق تبريرها دينيا لكسب عدد كبير من المؤيدين [xxxviii] .

من المتعارف عليه أنه عندما يكون المسوغ شرعياً و دينياً فإن هذا يؤدي الى جذب العديد من الانصار الذين بدورهم يقدمون مساعدات مادية و معنوية لتنمية مشاريعها .

اما اهداف الحركة فهي :

تطرق روجيه غارودي في كتابه (المأزق اسرائيل) الى حقد هيرتزل على العرب والمسلمين وعلى شعوب القارة الاسيوية ، وذكر غارودي بأن هيرتزل كان دائما ما يبشر الاوربيين بإقامة دولة تحمي حضارتهم وتكون سدا منيعا في مواجهة اعداءه فقد نص كتابه الدولة اليهودية في الترجمة الفرنسية منشورات باريس ١٩٢٦ صفحة ٩٥: "بالنسبة لأوربا سنكون الحارس الامامي للحضارة في وجه البربرية"[xxxix] .

ولم يكن هذا موقف هيرتزل فحسب بل كان جميع من معه من المؤيدين وأعضاء المنظمة الصهيونية تفيض قلوبهم بالأحقاد والأطماع المعلنة والمنشورة في كتبهم ورسائلهم، فقد تلقى هيرتزل رسالة من صديقه المقرب ومستشاره دافيد تريتش (David Treitch)مؤرخة ٢٩ تشرين الأول ١٨٩٩ بعد انعقاد مؤتمر بال الصهيوني العالمي قال فيها : "أود أن أشير عليكم بالرجوع من وقت لآخر إلى برنامج فلسطين الكبرى (إسرائيل الكبرى) قبل أن يفوت الأوان، فلا بد أن يحتوي برنامج بال على كلمات إسرائيل الكبرى أو فلسطين والأراضي المجاورة، وإلا يكون بلا معنى ، لن يكون في وسعكم استقبال عشرة ملايين من اليهود على ساحة من الارض مقدارها ٢٥ كم٢[xl] .

ذكر غارودي في كتابه (فلسطين أرض الرسالات السماوية) بأن الهدف الرئيس للصهيونية الى جانب تمزيق الوطن العربي فانها تسعى لاقامة وطن لليهود داخل فلسطين ، وعرض اهداف مؤتمر بال الصهيوني (برنامج المنظمة الصهيونية العالمية) :

١- تطوير عملية توطين المزارعين والحرفيين والتجار اليهود في فلسطين ضمن أفضل الشروط .

٢- تنظيم اليهود وتوحيدهم في العالم كله ضمن تنظيمات محلية أو وطنية في إطار القوانين المرعية في كل بلد .

٣- تعميق الشعور القومي اليهودي وتأصيل الوعي لدى اليهود بأنهم أمة.

٤- القيام بخطوات تحضيرية للحصول على موافقة الحكومات المعنية؛ وهو أمر ضروري كي تصل الصهيونية إلى هدفها[xli].

وقد تبنت الحركة الصهيونية هذا البرنامج حتى المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين عام ١٩٥١ المنعقد في القدس إذ جرت صياغة الأهداف على نحو جديد و أن (برنامج القدس) هذا الذي يتمم مؤتمر بال سيصاغ على النحو الآتي : وإن أهداف الصهيونية هي :

١- وحدة الشعب اليهودي .

٢- (اسرائيل) هي جوهر حياة هذا الشعب .

٣- تجميع الشعب اليهودي في وطنه التاريخي . أرض (إسرائيل).. بطريق الهجرة من جميع البلدان .

٤- تثبيت كيان (اسرائيل) المبنية على المثل النبوئية في الرسالة والسلام.

٥- الحفاظ على الشعب اليهودي بتطوير التربية اليهودية والعبرية وتنمية القيم الروحية والثقافية اليهودية .

٦- حماية حقوق اليهود في كل بلدان العالم[xlii] .

وفي مؤتمر بال كان هيرتزل قد قبل بحل وسط أي بصيغة (وطن قومي) بدلا (دولة يهودية) وبصيغة (حق عام) بدلاً من (حق دول) كي لا تظن تركيا أنهم سيتعدون على سيادتها على فلسطين، كتب ماكس نور داو(Max Nour Dao)[xliii] في معرض الحديث عن مؤتمر بال، قال :"لقد بذلت جهدي كي أقنع أولئك المطالبين بدولة يهودية في فلسطين بأن علينا أن نجد صيغة (ملتبسة) نعبر بها على نحو نتجنب فيه إثارة الحكام الأتراك حول موضوع الأرض التي نطمع فيها وقد اقترحت صيغة (وطن قومي) قصة هذا التعبير الذي دار – حوله الجدل ، كان التعبير ملتبساً مبهما ولكننا كنا نفهم كل ما يعنيه، وهو يعني لدينا ولكن ليس هناك ما يدعونا الآن إلى إخفاء هدفنا[xliv].

يعني وعنيت بها أن تكون مرادفاً لصيغة (دولة) هذه هي (دولة يهودية) وما زال إن هذه الصيغة الملتبسة لدى هيرتزل ونورداو على السواء كانت تخفي وراءها حقيقة محددة ، كتب هيرتزل في يومياته عام ١٨٩٧ قائلا : "لو طلب مني تلخيص مؤتمر بازل بعبارة لكانت في بازل أسست الدولة اليهودية"[xlv].

ومضى هيرتزل في الحال إلى تحقيق المشروع مستغلاً عاملين قويين سيحققان له النجاح :

١- مطامع القوى الاستعمارية المتنافسة حول المسألة الشرقية ، هذه المطامع التي كان يشعلها انحلال الامبراطورية العثمانية .

٢- العداء للسامية؛ فلابد من إقناع اليهود المشاهدين بأن الهجرة ، لا الاندماج، هي المخرج لهم من بؤسهم وشقائهم . ولا بد من إغراء الدول المعادية للسامية بأنها ستتخلص من اليهود بينما يتم الحصول على الأرض[xlvi] .

يبدو أن الحركة الصهيونية العالمية واستخدامها لليهودية كأداة لتنفيذ مخططاتها هي جزء لا يتجزأ من أفكار وأدوات النظام الرأسمالي العالمي الذي نشأت منه وتنمو منه و تستمد شرعيتها في تحقيق أفكارها الأساسية وهدفها المادي ايضا منه بهدف خلق وطن قومي لليهود في فلسطين، وهذا ما يجعل الكيان الصهيوني ليس على قيد الحياة فحسب ولكنه قويً وحازمً في سياسات العديد من البلدان ولاسيما أنه يتلقى دعما من القوى الكبرى المتحكمة في زمام اغلب بلدان العالم وخاصة بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية ، من المؤكد أن أي شخص مهتم ببقاء هذا البلد ليس من منطلق الاندفاع لحل ما يسمى بالمشكلة اليهودية أو إنقاذ اليهود من اضطهاد الآخرين ، ولكن لأن وجود "إسرائيل" هو مخطط إمبريالي رأسمالي عسكريًا واقتصاديًا ولأن الدين وتفرعاته الأيديولوجية جزء من الأيديولوجية الشعبية في مجتمع هذا النظام ، حيث تمرر هذه الأنظمة الأديان الأخرى وخاصة المسيحية التي أصبحت الصهيونية المسيحية كما لو لم تكن أكثر خطورة من الصهيونية نفسها ، لذلك كشف روجيه غارودي عن تلك المخططات وكيفية توظيف الدين والسياسة لكسب شرعية لاقامة وطن لليهود على أرض فلسطين .

الخاتمة:

إن فكرة الصهيونية كحركة أيديولوجية سياسية ذات أهداف خفية معروفة بتاريخها الطويل ، قد تمكنت بخداعها غرس الفكر الصهيوني ليضرب اعناق التاريخ اليهودي مستغلة الديانة اليهودية بهدف اقامة وطن قومي لهم.

على رأس الناقدين للصهيونية روجيه غارودي الذي حارب الصهيونية ،كرس غارودي نفسه لشرح الجرائم البشعة التي أوقعتها الصهيونية على العالم وإظهار حقيقة الصهيونية وكيفية مكافحتها ووسيلة دراسة الصهيونية في وجود خصومها ،وهدف الصهاينة هو جلب أعين قادتهم لبناء الوطن القومي لهم على ارض فلسطينية ، لذلك فإن موقف غارودي واضح وصريح معادي للسياسات الصهيونية ، وقد ورد على لسانه أنه يحترم الدين اليهودي ، والصهيونية سياسة يعارضها.

قائمة المصادر:

[i] – روجيه غارودي ، المأزق اسرائيل، تر: ذوقان قرقوط ، دار الميسرة، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ٨ .

[ii] – تيودور هيرتزل: ولد هرتزل في بودابست في ٢ ايار ١٨٦٠، وكان الابن الوحيد لرجل يهودي ثري، انتقل مع عائلته إلى فيينا ، حيث أكمل تعليمه الجامعي وحصل على الدكتوراه في القانون عام ١٨٨٤و عمل كمحامٍ لمدة عام واحد فقط، كان ميوله الصحافة التي عمل فيها محررًا لإحدى الصحف الأدبية ، ثم عرضته إحدى كبرى الصحف النمساوية ليكون مراسلها في باريس عام ١٨٩٦ م ، وفي عام ١٨٩٧ م أسس مجلة أسبوعية اسماها (العالم) ، أصبحت فيما بعد المتحدث الرسمي باسم الحركة الصهيونية و أتاح له وجوده في باريس أن يهتم بالشأن اليهودي ، حيث كانت العاصمة الفرنسية مسرحا لقضية اليهودي الفرنسي دريفوس الذي اتهم بتقديم معلومات عسكرية إلى القنصل الألماني ، مما زاد من ميله تجاه القضية اليهودية التي أثيرت من قبل السياسيين والمفكرين اليهود في كتاباتهم عن الحاجة إلى إيجاد حل جذري لما يتعرض له اليهود ، لذلك كان من أكثر الأشخاص لمتحمسين لفكرة الوطن القومي حتى لا يكون اليهود كبش فداء في مثل هذه القضايا ، للمزيد: ينظر: اسماعيل احمد ياغي ، الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٣ ، ص ٤٣-٤٤.

[iii] – كريم مطر حمزة ، المفتي محمد امين الحسيني واثره في السياسة العراقية ، دار العلوم العربية، بيروت، ٢٠١٤، ص ١٨.

[iv] – اسماعيل احمد ياغي ، المصدر السابق، ص ٩-١١ .

[v] – موسوعة الصهيونية واسرائيل ، مج ٢ ، دار هرتزل ، نيويورك ، ١٩٧١ ، ص ١٢٦٢ .

[vivi] – تيودور هرتزل، يوميات هيرتزل، تر: هلدا شعبان صايغ ، مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٠ .

[vii] – عدنان سعد الدين ، مع الاستاذ رجاء جارودي في الحوار و الافكار، ط٣، د. م ، ٢٠٠٠ ، ص ٨٩ .

[viii] – روجيه غارودي ، الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية ، ص ١٨.

[ix]– Rufus Learsi , Israel: A History of the Jewish People , Cleveland, 1966, P 521- 522.

[x] – محمد عثمان الخشت ،روجيه غارودي ، لماذا اسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة ، مكتبة القران، القاهرة، ١٩٨٦ ،ص ٧٦ .

[xi] – روجيه غارودي ، محاكمة الصهيونية الاسرائيلية، دار الشروق، القاهرة، د.ت ، ص ٢٨ .

[xii]– المصدر نفسه،ص ٣٦ .

[xiii] – حنه ارنت(Hannah Arendt): هي مفكرة سياسية يهودية المانية الاصل ، ولدت في مدينة هانوفر عام ١٩٠٦ ، درست في جامعة ماربيرغ وحصلت على شهادة الدكتوراه في الفلسفة ، في عام ١٩٩٣ ذهبت الى فرنسا ، من اهم مؤلفاتها ازمات الجمهورية، بين الماضي و المستقبل، وقد واظبت على نقد السياسية الصهيونية تجاه القضية الفلسطينية، للمزيد: ينظر : حنه ارنت ، في الثورة، تر: عطا عبد الوهاب ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨ .

[xiv]– جان بول سارتر(Jean Paul Sartre): هو فيلسوف و روائي فرنسي ولد عام ١٩٠٥ ، عرف عنه تأييده لحركات المقاومة المسلحة حول العالم ور فضه للسياسات الامبريالية التي اتبعتها القوى العظمى في القرن العشرين ، وقد اظهر سارتر تأييده للقضية الفلسطينية و المقاومة التي نشأت ضد اسرائيل ، للمزيد: ينظر:

Flynn ،Thomas ،"Jean-Paul Sartre" ،The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Fall 2013Edition)،EdwardN.Zalta(ed.)URLhttps://plato.stanford.edu/archives/fall2013/entries / سارتر /

[xv] – جاك داريدا(Jacques Derrida): فيلسوف فرنسي يهودي من مواليد الجزائر عام ١٩٣٠ ، اشتهر بنزعته الفلسفية التفكيكية التي تدعو الى تفكيك الخطابات واعادة بنائها عرف كأحد المثقفين الغربيين الذين انتقدوا الحضارة الغربية من الداخل ، وكانت له مواقف حازمة ضد الصهيونية ومتعاطفا مع القضية الفلسطينية قائلا " انا ولدت في الجزائر من عائلة

يهودية وهذه هي جذوري ، لكن اسرائيل في نظري لا تمثل اليهودية " و طلب من الويات المتحدة التدخل لحل القضية الفلسطينية. للمزيد: ينظر

Ted Honderich (Ed), The Oxford Companion to Philosophy, Oxford, Oxford University Press, 2005, p. 745.

[xvi] – باروخ كيمرلينغ ، مهاجرون مستعمرون مواليد البلد ، تر: هاني العبدالله، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت، ٢٠٠١، ص ٣٠٠-٣٠١ .

[xvii] – عبد الوهاب المسيري، من هو اليهودي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨ ، ص ١٥- ١٧ .

[xviii] – روجيه غارودي ، اسرائيل بين اليهودية والصهيونية، تر: حسين حيدر، دار التضامن ، بيروت، ١٩٩٠ ،

[xix] – ايمان رجب ، الهوية ام المصلحة ما الذي يتحكم في علاقات الدول الخارجية ؟، مجلة السياسة الدولية، ع ١٨٦ ، ٢٠١١ ، ص ١٩-٢٠ .

[xx]– Klatzkin, Jacob «Boundaries (1914-1921), in: Arthur Hertzbery, ed., Zionist Idea: A Historical Analysis and Reader (New York: Hertz Press, 1959), p 317.

[xxi] – عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم و المصطلحات الصهيونية، دار الشروق ، ١٩٧٥ ، القاهرة ، ص ٩٧.

[xxii] – عبد الوهاب المسيري، الأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، عالم المعرفة ،ع ٦٠ ، ١٩٨٢، ص ١١٧ . ١١٨.

[xxiii] – يورغن هابرماس، الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي، تر: نظير جاهل ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ،١٩٩٥، ص ٦٠ – ٦٥.

[xxiv]– Brenner, Lenni, Zionism in the Age of Dictators (London: Croom Helm Ltd., 1983), p. 19.

[xxv]– Martin Buber, Israel and Palestine: The History of an Idea, translated by Stanley Goodman (London: East and West Library, 1952), p. 18.

[xxvi] – ثيودور هرتزل، دولة اليهود ، محاولة لإيجاد حل حديث للمسألة اليهودية، تر: مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت، ١٩٩٧، ص ٤٠.

[xxvii] –المصدر نفسه.

[xxviii] – ثيودور هرتزل، دولة اليهود ، محاولة لإيجاد حل حديث للمسألة اليهودية، ص٤١.

[xxix] – المصدر نفسه.

[xxx] – شلومو ساند، إختراع الشعب اليهودي، تر: سعيد عياش ، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ،٢٠١١، ص ٣٣١ . ٣٣٣.

[xxxi] – سعد رزوق، التلمود والصهيونية ، وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله ، ٢٠٠٩، ص ٢١٤.

[xxxii] – رشاد عبدالله الشامي ، اشكالية الهوية في اسرائيل ، عالم المعرفة، ع ٢٢٤ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، الكويت، ١٩٩٧ ، ص ١١٤-١١٥ .

[xxxiii]– Jonathan Caplan, Religion and State in Israel (Tel-Aviv: The Jewish Agency for Israel, 2000), p. 22.

[xxxiv]– Jonathan Caplan,op.cit, p.23.

[xxxv]– Jonathan Caplan, op.cit, p 23.

[xxxvi] – محمد خليفة حسن ، الحركة الصهيونية طبيعتها و علاقتها بالتراث الديني اليهودي، دار المعارف ، د.م ، ١٩٦١ ، ص ٥١ .

[xxxvii] – عبد الوهاب المسيري ، تاريخ الفكر الصهيوني جذوره و مساره و ازمنته ، دار الشروق، ٢٠١٠، ص ٢٥.

[xxxviii] – حسن خليفة ، المصدر السابق، ص ٥١.

[xxxix] – ثيودور هيرتزل، المصدر السابق، ص ٩٥.

[xl] – روجيه غارودي، المأزق اسرائيل ، ص ٨١.

[xli] – عبد الوهاب الكيالي ، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١٠، ١٩٩٠، ص ٢٩-٣٠.

[xlii] – روجيه غارودي، فلسطين ارض الرسالات السماوية ، ص ١٩٠-١٩١.

[xliii] –ماكس نورداو: ولد نورداو ١٨٤٩ في بيست ، التي كانت آنذاك جزءًا من الإمبراطورية النمساوية كان والده جبرائيل شاعرًا عبرانيًا كانت عائلته يهودية أرثوذكسية ، وحضر مدرسة ابتدائية يهودية ، ثم مدرسة ثانوية كاثوليكية ، قبل حصوله على شهادة الطب من جامعة بودابست، في عام ١٨٩٧ ، شارك في تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية مع تيودور هرتزل وشغل منصب رئيس أو نائب رئيس العديد من المؤتمرات الصهيونية، للمزيد: ينظر:

تاريخ الزيارة : ٢٠٢٢/٢/١٧ https://www.bartleby.com/library/bios/

[xliv] – روجيه غارودي ، فلسطين ارض الرسالات السماوية، ص ١٩١.

[xlv] – الان تايلور، مدخل الى اسرائيل، تر:شكري محمود نديم، وزارة الثقافة و الارشاد، بغداد، ١٩٦٥، ص١٨.

[xlvi] – روجيه غارودي ، فلسطين ارض الرسالات السماوية، ص ١٩٠-١٩١ .